إضاءة

عبد القادر الصوفي نظرية خلدونية مضادّة للتنوير الزائف

ثلاث صدمات في الضمير الغربي

استعادت صحيفة «ليبيرو» الإيطالية مؤخّراً أفكار المؤلّف الاستكلندي إيان دالاس المعروف باسم عبد القادر الصوفي، والتي انتقد فيها الديمقراطية الغربية، وانتصر لمفهوم ابن خلدون عن البداوة ضدّ عدمية الغرب

أهل بوشارب

في وقت لا يزال فيه اهتمام صحف ومجلّات اليسار الإيطالي المعنيّة بالثقافة العربية والإسلامية مُنصبّاً منذ بدء العدوان على غزّة على الصحّة النفسية لـ«مجتمع الميم عين في الشرق الأوسط»، بالإضافة إلى ما يطلق عليه الروائي والناقد الفنّي الإيطالي فولفيو آباتي «أدب الإفرازات المهبلية» (الفرع العربي)، طالعتنا صحيفة «ليبيرو» اليمينية، التي أسسها رئيس الوزراء الإيطالي الراحل سيلفيو برلسكوني، بمراجعة استثنائية، نُشرت مطلع الشهر الجاري، وأفردت لها صفحتين من توقيع الروائي الإيطالي ورئيس «مهرجان فينيسيا السينمائي» بييترانجيلو بوتافوكو، وقد خُصصت للترجمة الإيطالية الصادرة حديثاً لكتاب «وقت البدوي: عن سياسة القوّة» (منشورات «إل فوندكو دي ليبري»، 2024) للمؤلّف الاستكلندي إيان دالاس، المعروف بعد اعتناقه الإسلام باسم الشيخ عبد القادر الصوفي المرابط.

في كتابه الصادر بالإنكليزية عام 2006، والمترجَم إلى اللغة الإيطالية بتوقيع ستيفانو علي انزالي، قدّم عبد القادر الصوفي (1930ـ2021) نقداً لاذعاً للديمقراطية السياسية؛ حيث بيّن أنّ الترويع هو الجوهر الحتمي لما يكتنف النظام الديمقراطي الذي تجد جميع الشعوب والأمم نفسها مضطرّة للالتزام به اليوم. ويكشف الصوفي في تحليله الثورة الفرنسية وشخصيات أبطالها عن قطيعتهم مع التاريخ، حيث كانت المذابح الجماعية والإبادة هي الحدث المخصّب الذي قامت عليه الديمقراطية الحديثة. وهكذا تمّ القضاء على الطبقة الأرستقراطية المتهاوية، لتظهر نخبة جديدة غير شرعية، استحوذت على الثروة، وأعلنت نفسها أخيراً «سيّدة على الكون».

واليوم، ومع تضرّج هذه النخبة المالية بالعار والسقوط الحتمي لها ولمنظومتها المتحوذة على الثروة، ستظهر بالضرورة طبقة أرستقراطية جديدة، كما يستشرف عبد القادر الصوفي، في إشارة إلى نظرية ابن خلدون في تجدّد دورة التاريخ. وستخدر الطبقة النبيلة الجديدة بحسب الصوفي مَن يُسمّيهم ابن خلدون «البدو»؛ وهُم ليسوا عرب الصحراء بالضرورة، بل أناس غير مرتبطين بنظام اجتماعي ثابت. وسيكونون هُم من يجسّد تلك الصفات التي طالما ارتكزت عليها جميع الأرستقراطيات الشرعية: النُبل، والاهتمام بالآخرين، والالتزام بالدين السماوي.

وفي مراجعته، التي وصفتها مجلّة «التحالف الكاثوليكي» الإيطالي بأنّها جوهرة فكرية بحدّ ذاتها، يشير بييترانجيلو بوتافووكو إلى أنّ عبد القادر الصوفي يضع إصبعه «في كتابه المدهش على ثلاث صدمات في الضمير الغربي خلّفتها الثورة الفرنسية: الحرب الأهلية الأوروبية عام 1848، وإفرازات الحرب العالمية الأولى 1918، وهذه الحرب الأهلية العالمية التي لا زلنا نعيشها هذا الصباح وسنعيشها مساءً وربما غداً وبعد غد»، في إشارة إلى العدوان الجاري على غزّة ولبنان. ويستطرد بوتافووكو ضمن مقاله المعنون بـ«عن ثوّار نظاهروا بالنبل» بأنّ سياسة الإلغاء هي ما جلبته لنا الثورة الفرنسية التي «انتصرت فيها الفردانية البرجوازية وإلحاد الدولة... والبراغماتية والعربدة ودول ترسل ملايين البشر للموت في تكريس لطغيان لم يعرف التاريخ مثيلاً له من قبل».

ثم يعود بوتافووكو ويذكّرنا بمشاهد الترويع التي قامت عليها الثورة الفرنسية (1789 - 1799) و«الاحتفاء بقطع الرؤوس ودحرجتها في الساحات في تبرير للطغيان باسم الفضيلة»، بالإضافة إلى سَوم صنوف مريرة من العذاب للكاثوليك (والإشارة للإبادة التي تعرّض لها الكاثوليك في مقاطعة فاندي الفرنسية بين 1793 - 1794). ولم يتوقّف الكاتب هنا، بل عرّج على جرائم الأنظمة الديمقراطية حول العالم، التي أخذت شرعيتها من قيم الثورة الفرنسية، على غرار ما خلّفته الحرب العالمية الأولى والفظائع الاستعمارية في الجزائر، ليصل إلى جرائم معتقل «غوانتانامو»، التي ارتُكبت جميعها باسم حماية حقوق الإنسان وبحصانة دستورية، دون أن يغفل النخبة المالية المتغوّلة التي تحكم العالم اليوم ولا تزال تدّعي الفضيلة، مثل أسلافها من صنع ثورة الرعب الفرنسية من خلال شخصيات تزعم حبها للآخر وللانسانية، ولن ينقذ العالم منها ومن عدميتها، وفق بوتافووكو، سوى ظهور وعي جماعي جديد (بالمفهوم الذي صاغه ابن خلدون) سيلتقي بنبوءة يوهان غوته حيث سيكون قوامه «إسلام مُطعّم بالمتوسّطية».

مراجعة بوتافووكو المدوّية، بوصفه اسماً وازناً في الساحة الثقافية الإيطالية، لكتاب ضدّ التيّار كهذا أثار تفاعلاً في إيطاليا؛ حيث أفرد ماركو ريسبينتي لمراجعته مقالاً على موقع «التحالف الكاثوليكي» أشاد فيه بالمقال، مشدّداً على أنّ فلاسفة ومفكّرين غربيّين كثراً تنبّهوا مباشرة بعد انتصار الثورة الفرنسية لدخول العالم نفقاً مظلماً، مُذكّراً بما أعلنه إدموند بورك بمرارة غداة انتصار الثورة الفرنسية: «ولّى زمن الفروسية»، إلّا أنّ فكرة استبدال الرجال برجال جُدد يأتون لتحرير العالم من هذه الطغمة المالية التي استأسدت على العالم بأسره في العقود الأخيرة في ما يمكن وصفه بـ«ثورة بدوية مضادة»، يقول ريسبينتي، هي حتماً نظرية خلدونية تستحقّ الوقوف عندها.

هكذا وفي ظلّ الاهتمام البالغ الذي توليه الأوساط اليسارية التقدّمية للأعضاء التناسلية العربية، والتي غطّت أدبياتها في الغرب على كلّ النتاج الثقافي العربي الذي يزيد عمره عن ألف سنة، إلى جانب الضحالة التي تلفّ جلّ التحليلات السياسية والاجتماعية لهؤلاء في ما يخص الأوضاع في الشرق الأوسط، أطلّ علينا أبرز رجالات الثقافة في إيطاليا في حوار فكري تصدى فيه بييترانجيلو بوتافووكو - وهو المحسوب على اليمين الإيطالي والمنحدر من عائلة صقلية نبيلة ورئيس أعرق مؤسسة فنّية إيطالية - للدفاع عن رؤية جديدة للعالم من بوابة ابن خلدون والشيخ عبد القادر الصوفي، بعيداً عن الإسفاف الفكري لثوّار الإبادة والعربدة، معلناً انطفاء الأنوار الزائفة للثورة الفرنسية... فهل حان أخيراً «وقت البدوي» ليعيد للعالم زمن الفروسية؟

(روائية ومترجمة جزائرية مقيمة في إيطاليا)

إيان دالاس او «الشيخ عبد القادر الصوفي» (1930 - 2021)

> تلتقي أفكاره بنبوءة غوته عن إسلام مُطعّم بالمتوسّطية
>
> رأى أنّ الديمقراطية الغربية تأسست على الإبادة

بطاقة

كان إيان دالاس Ian Dallas كاتباً مسرحياً وممثّلاً شارك في أفلام من بينها «8½» لمُخرج الإيطالي فيديريكو فلّيني عام 1963، قبل أن يعلن اعتناقه الإسلام عام 1967 في «جامعة القرويّين» بمدينة فاس المغربية ويتسمّى باسم عبد القادر الصوفي، ويدرس التصوّف في كلّ من الجزائر والمغرب. عُرف بدعوته إلى التمسّك بما سمّاه «الصياغة الأوّلية للمجتمع الصالح» ممثّلة بأهل المدينة المنوّرة، وألّف عدّة كتب عن الإسلام والصوفية والنظريات السياسية.

معرض

روما معانٍ خفيّة للمدينة

دافيد خيمينيز حيث لا تصل الكلمات

في معرضه المقام بغرناطة، يُقدّم الفنّان الإسباني صورة عارية عن مدينة روما الإيطالية وإيقاعاتها المختلفة، بحثاً عن معانٍ جديدة

غرناطة ـ **العربي الجديد**

يقول الفنّان الإسباني دافيد خيمينيز إنّ مشاريعه أقرب إلى «فكرة نهر» يُعبّر في مياه من عدم اليقين، حيث القلق والشعور بالضياع يتحوّلان إلى قوّة دافعة لاستكشاف العلاقات التي تربطه بالأشياء والأشخاص والمدن. هذان الشعوران، القلق والضياع، سيكونان المهيمنَين على معرضه «روما»، الذي تنظّمه بلدية غرناطة حالياً في مركز «خوسيه غيريرو» بالمدينة الأندلسية، وحتى الثاني عشر من كانون الثاني/ يناير 2025. يعرض خيمينيز أعماله عن المدينة الإيطالية، التي بدأها منذ عام 2016 في أثناء إقامته في «الأكاديمية المَلَكية الإسبانية» بروما، وأكملها خلال فترات إقاماته المختلفة في إيطاليا، وفق نهج منفتح وسلس إلى حدّ ما، يحاول من خلاله عرض صور ومنحوتات، والبحث عبرها عن المعاني الخفية التي توجد في المدينة، ما يؤدّي في نهاية المطاف إلى تشكّل انطباعات تصل حيث لا تصل الكلمات.

ينقسم المعرض إلى ثلاثة أقسام: في الطابق الأرضي لا يتردّد الفنّان، عبر فيديو تركيبي، في الاعتراف سريعاً بنياته: تقديم صورة عارية عن المدينة بإيقاعات وخطوط عمل مختلفة. في البداية، قد يعتقد الزائر أنّه تجوال الفنّان عبر المدينة، لكنّ تقطّعات الفيديو، وتوقّفه، تمّ عملية تسريعه المفاجئة، سرعان ما توحي بفكرة الرحلة المجزّأة والمُغامضة وغير المكتملة. لغز هذه الرحلة سيُعرض في الفيديو الثاني، الذي ما إن يعتقد الزائر أنّه يتناغم مع الأوّل، حتى يدرك أنّه صار مستقبلاً، كأنّ الصور والحركات تريد أن تتّحد، لكنّها تزداد تفكّكاً، كأنّ خُطواتنا في المدينة، كلّما عرفنا المدينة أكثر، تزداد ضياعاً وتيهاً. في الطابق الأوّل من المعرض، يعرض دافيد خيمينيز مجموعة من الصور الفوتوغرافية موزّعة على خطّين متوازيين وغير مكتملين: يحتلّ بعضُها الجدار، بينما يستقر البعض الآخر فوق قاعدة على الأرض، وهو ما يذكّرنا بالعناصر الأثرية التي أعيد استخدامها في الإنشاءات اللاحقة أو التي تملأ اليوم الأفنية والحدائقَ والمناطق الخارجية للمتاحف.

يشير هذا المزيج إلى الطبيعة المزدوجة والمادية الزائلة للتصوير الفوتوغرافي من أجل إبراز العلاقات بين بعض القطع وغيرها، التي تكتمل أو تتباعد أو تتناقض أو يُكمل بعضها البعض. تظهر هنا أيضاً مجموعة من الأعمال الأصغر التي يتردّد فيها صدى صورة أحجية غير مكتملة، وخراب مع قطع مفقودة، بالإضافة إلى لوحة جدارية تشير إلى آلية عمل الفنّان: مطبوعات صغيرة الحجم مع تلك التي يعمل عليها يدوياً؛ شهادة على العملية الدقيقة التي أنتجت المعرض الذي يراه الزائر.

إيقاع الطابق الثاني مختلف تماماً، حيث يمكن ملاحظة رغبة في ترتيب معيّن للقطع، ورغبة في عرض صور خارج سياقها الزمني، في محاولة لجرح الزمن وإيلامه والتغلّب عليه، المنحوتات التي تاكلت بمرور الوقت، اللون الباهت للفسيفساءات، الأنسجة الرخامية، النباتات الكثيفة للمناظر الطبيعية، المصباح الأمامي المكسور لسيارة، المواد العاطفية، اللوحات، التماثيل المتآكلة، جميعها تُشكّل متواليات عشوائية تصبح قوّة تحويلية للوقت قادرة على توليد معانٍ جديدة مرئية مع طبقات المدينة المتعدّدة.

بالنسبة إلى خيمينيز، ليست المدينة/ روما مجرّد مكان بالمعنى الفيزيائي للكلمة، أي ليست مجرّد أبنية إسمنتية وتماثيل وصروح وأماكن سياحية وصور، إنها رمزٌ لطبقات الذاكرة، وللترابط بين الماضي والحاضر. الصدى، التنافرات، التناقضات، والعلاقات غير المرئية الموجودة بين طبقات الذاكرة جميعها تنقل الزوّار من مساحة إلى أخرى وتربطهم عاطفياً بفكرة الوقت الذي يُدمّر لكنّه يُعيد البناء ويعيد تفسير الأشياء وتشكيلها من جديد. يُذكّر أنّ دافيد خيمينيز من مواليد إشبيلية عام 1970. حاصل على إجازة في الفنون الجميلة من «جامعة كامبلوتنسي» بمدريد، وشارك في معارض محلّية ودولية في روما ونيويورك وباريس. له ثمانية كتب في التصوير الفوتوغرافي، أبرزها «لا نهاية» (2000)، الذي يُعَدّ من مراجع التصوير الفوتوغرافي في إسبانيا.

دافيد خيمينيز

من المعرض

إطلالة

هزائم الانتظار

ممدوح عزام

على الصعيد الفردي، سوف يبقى الانتظار القيمة الحاضرة في الحياة اليومية لكلّ واحد من بيننا، لا يمكن العيش، أو الاستمرار في العيش، إذا ما فقد المرء هذا السلوك من حياته. ومن المستبعد أن يزول الانتظار من قائمة القيم الفريدة التي تمنح الحياة الشخصية لكلٍّ منّا معنى ما يتّجه إليه في عمله ونشاطاته بالمُجمل. يُمكنه أن ينتظر ولادة ابن أو ابنة، ينتظر حبيبة، وسبق لمحمود درويش أن قدّم وصية طيّبة بهذا الشأن، وهي تخصّ العشّاق والمُحبّين، في قصيدته الجميلة «درس من كاماسوطرا»، وفيها كلّ جماليات الانتظار الذي يُختتم باللذة.

كما يُمكن لأي منّا أن ينتظر نهاية لعبة، أو نهاية حكاية، أو نهاية رواية، أو نهاية أزمة في الحياة. وأهمّ روايات الانتظار هو التشويق، وفي الرواية أو الفيلم يعمل الفنّان على إدارة عناصر التشويق التي تجعل القارئ أو المتفرّج يواصل متابعة النصّ أو الشريط السينمائي إلى النهاية. يغدو الانتظار ممتعاً هنا.

وعلى الصعيد القومي، كان الانتظار قيمة معنوية بارزة في الوقت العربي، فمنذ أن استقلّت الدول العربية ونحن ننتظر أن نصل إلى أحلامنا، الحرّية، والتقدّم، والمصانع، والمدارس، والحياة الطيبة، ولكن أكثر قيمة مخيّبة للعرب في حياتهم الحاضرة هي الانتظار. ويُمكن تلخيص تلك الحياة بالّلاجدوى، بالخسارة، بعدم تحقّق أي أمنية أو مطلب من مطالبه الوطنية أو القومية. بل يمكن القول إنّ اتجاه البوصلة، أو اتجاه السهم في حركة التطوّر العربي، وتحقّق المطالب كان نحو الخلف، أو نحو الانكسار، الذي عبّرت عنه الرواية العربية في أكثر من عمل، وأكثر من بلد. سبق لمحمد كامل الخطيب أن تتبّع مساراتها في كتابه «انكسار الأحلام». والطريف هو أنّ الفكر العربي كلّه تقريباً بنى معظم مقولاته على فكرة انتظار التغيير القادم، ولهذا فقد يبدو الانكسار، وهي كلمة تُلطّف الهزيمة، فاجعاً، حيث لا تتوفّر أي مشوّقات.

اللافت أنّ الثورات العربية التي هبّت في بداية العقد الثاني من قرننا، بدت لكثير من العرب خاتمة سعيدة لسنوات الانتظار، لحظة يقظة نوعية كبرى في المسار العربي الذي وُصف بالجمود، بل يُمكن القول إنّها كانت لحظة مباغتة للعربي الثائر نفسه، بعد أن مرّت عقود في القرن الماضي من تعاقب الاستبداد الذي أوقف مسار الحياة عند لحظة الطاغية الذي استثمر كلّ الطاقات لخدمة بقائه في السلطة، غير أنّها لم تُسفر عن شيء. لقد فشلت جميعها، وأبيد الانتظار نفسه، تحت وابل من التحرّكات المضادّة والقصف الكلامي، والنشاط المضادّ المسلّح الذي تولّت أمره جماعات متطرّفة، والهجمات العسكرية للأنظمة، التي ساعدها فيها، ويا للعجب، مثقّفون عرب، وشعراء عرب، وروائيون عرب، قدّموا أمثولات في ردم، وتطويق، تلك اللحظات المضيئة التي اعتقد العربي، والعالم ريما، أنّ ساعة الوصول قد أزفت.

فشلت الثورات العربية جميعها، وفي حين اعتقد الجميع أنّهم يُمكن أن ينتظروا ثورات أُخرى، ثمّة الملايين من العرب باتوا مستعدّين لترك بلادهم والهجرة إلى أي مكان آخر في الأرض، بعيداً عن هذا الإحباط المتواصل لانتظار الآمال، غاب اسم الثورات، وبقي الطغاة.

في القصيدة الشهيرة لكفافي «في انتظار البرابرة»، كان هؤلاء تهديداً، نوعاً من الحلّ للملك الطاغية، أمّا اليوم فلم نعد ننتظرهم، فقد باتوا على الأبواب.

(روائي من سورية)

قصائد

لنعرف كم يجني صيارفة الدم

بورصة

سعد سرحان

تقابُل
ليس أخطر من تزوير نَشَرات الدواء سوى
عدم حمْل أوراق البَنْكَنوت لتحذير واضح
من تجاوزْ الجرعات المسموح بها.

معادلة
إذا بات المرء مجرّدَ ما يملك
فما عساه يصبح مجرّداً مما يملك؟

جوع
الجائع حقّاً من كان متخماً بالقشور.

أخوّة
لتبييضِ الأموال
أخٌ مِنَ الرضاعة:
تبييضُ الدماء.

رنين
أيّها الصيارفةُ الآمعون
بكَمِ
تُقدّرون
رنينَ
الفراغ؟

بورصة
في بورصة الحياة
أشياءُ كثيرةٌ
أغلى من المال
أبخسُها ما يُشترى به.

حلول
مُذْ حلّت المحسبة محلّ الكتاب
صار كلّ شيء بحساب.

فضيحة
يفضحها الإقبال عليها
العقول المليئة بالخردوات.

إيمان
ثقة من يؤمن
بيوم الحساب
وثقة من لا يؤمن
بغير المحسبة.

حظائر
ثقة حظائر سحريّة لتربية الأموال
تتكاثر فيها بلا تزاوُج
وتسمن بلا علفٍ
...
وقد صارت لها قرونٌ لامرئية
قرونٌ جبّارةٌ
تحطّم كلّ سياجٍ وكلّ جدارٍ
غير راضية بأقلّ من العالمْ
حظيرةً ومرعى.

فلسفة
باتت المحسبة مرجعاً فلسفياً
فأصبح المال فلسفة قائمة الذات.

بيض
في ليل الفساد
يتمّ تَبويضُ الأموال
فإذا فقستْ هذه
طارت بريشٍ دونه كلُّ ريشٍ
فلا تحطّ
إلّا بمخالب أين منها المخالب.

الوهم
شبّاك أوتوماتيكي في بنك الإفلاس.

تجارة
كان يبتاع الفشل بالجملة قصد بيعه نجاحاً
بالتقسيط.
زبوناً فذّاً كان.
لكنّه عاش تاجراً مجهول الزبائن.

(شاعر من المغرب)

منذر جوابرة/ فلسطين

فعاليات

تقيم **أوركسترا قطر الفلهارمونية** حفلاً موسيقيا عند السادسة والنصف من مساء الخميس المقبل في «مكتبة قطر الوطنية» بالدوحة. يتضمّن الحفل مقطوعات لمؤلّفين مثل: **يوهان شتراوس**، و**كلود ديبوسي**، و**جورج غيرشوين**، و**بنيامين إيرل كينغ**، و**نات كينغ كول**، و**هنري مانشيني**، و**ستيفي وندر** وآخرين.

تُنظّم «دارة الفنون» في عمّان، عند منتصف نهار غدٍ، ورشة رسم وحكايات بعنوان **حكايات شعبية من فلسطين** من تيسير الباحثة **مي ملحس**. تهدف الورشة التفاعلية، التي تُقام كلّ سبت حتى 23 الجاري، إلى تحفيز الخيال لدى الأطفال، وتعزيز مهاراتهم في الرسم والتعبير البصري، وتركز على إعادة إحياء التراث الشعبي الفلسطيني.

حتى العاشر من الشهر المقبل، تتواصل فعاليات الدورة الثانية عشرة من **مهرجان وسط البلد للفنون المعاصرة** (دي كاف) في القاهرة. افتتح المهرجان، أمس الخميس، بمشاركة قرابة مئة فنان من 21 بلداً. ومن بين العروض المشاركة: **ترانزيت طرابلس** لـ **كارولين حاتم**، و**أنا عشقت** لـ **اسامة حلمي عزوز**، و**ضوء** لـ **ريتا عكروش**.

ماذا لدينا هنا؟ عنوان معرض للفنّان الغوياني البريطاني **هيو لوك**، افتتح، أمس الخميس، في «المتحف البريطاني» بلندن، ويتواصل حتى التاسع من فبراير/ شباط المقبل. يقدّم المعرض منظوراً جديداً لتاريخ المتحف البريطاني الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإمبريالية البريطانية واستعمار افريقيا والهند ومنطقة الكاريبي.